مقياس نظريات الأنثروبولوجية الحديثة السنة الثانية ليسانس

الأستاذ بشير محمد /جامعة تلمسان/الجزائر

المحاور الأساسية:

1- النظرية الأنثروبولوجية التطورية

2- النظرية الأنثروبولوجية الانتشارية

3- النظرية الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية

4- نظرية انثروبولوجيا الأنظمة الدينية والرمزية

5-نظرية أنثروبولوجيا الوسط الحضري والصناعي

أ. أنثروبولوجيا الوسط الحضري

ب. أنثروبولوجيا الوسط الصناعي

6- طبيعة موضوع وطريقة البحث الأنثروبولوجي

7- القاعدة الابستيمولوجية المعتمدة

لقد فضلنا تقديم المحاضرتين الأولى والثانية على شكل رؤوس أقلام حتى تتضح الفكرة وترسخ في الأذهان،قناعة منا التركيز على العناصر الرئيسية.

المحاضرة الأولى:

أولا:النظرية التطورية:

- يعد **مفهوم "البقايا"** مصطلح أساسي في المنهجية التطورية، إنها المؤسسات، عادات مرحلة معينة وبقوة التعود استمرت في مرحلة أكثر تقدما لحضارة ما، والتي يمكن اعتبارها كبراهين أو شهادات على مراحل سابقة.

- يبقى النمو والتطور في اتجاه واحد، لذا يعد تقدم الإنسانية المرور من البسيط إلى المعقد، من اللاعقلاني إلى العقلاني.

- إذا كانت بعض الشعوب معتبرة في أسفل السلم ، فبإمكانها التطور بناء على مبدأ التطور الكوني الداعي إلى أن كل الشعوب باستطاعتها الوصول إلى المرحلة المتقدمة.من هنا يمكن القول أن المنطق الأساسي الذي يحكم هذا التوجه يتمثل في وحدة الإنسان.

- لا يتمثل الهدف في دراسة هذه الثقافة أو تلك (الخصوصية) على حدى ولكن ضمن كلية الثقافة الإنسانية، لذا يعد منهج ، منهجا مقارنا أي مقارنة مختلف المجتمعات و من ثم إعطاء الأهمية لتشابهاتها أكثر من الاعتناء باختلافاتها.

لويس مورغان(1818-1881):ينقسم تاريخ الإنسانية إلى ثلاث مراحل كبرى:الوحشية ،البربرية والحضارة.

جامس فرازرJames FRAZER(1854-1941):يلخص تاريخ الإنسانية في ثلاث مراحل كبرى :الشعوذة(السحر) ،الدين والعلم.فبخلاف قوانين العلم تعد قوانين الشعوذة، قوانين خيالية لأنها مرتكزة على الوهم.

يرتكز التفكير السحري على نظرية السببية أي أنه ظاهرة طبيعية تليها ظاهرة أخرى دون تدخل سلطة روحانية.

يتكون التفكير السحري من قانونين أساسين:

*قانون المماثلة:ينتج مبدأ المماثلة المماثل.

إن الاعتراف بأن هناك سلطة أكبر من سلطة البشر يعني الإيمان بأن العالم والطبيعة محكومتان ومراقبان بقوة روحانية تتعدى من بعيد قدرات الإنسان.

*قانون الاتصال(contact)

انه يستدعي اللاطبيعي حيث تعتبر سلطته أسمى من سلطة البشر لمساعدته على حل مشاكله.

نقد كلود لفي ستراوس:إن استعمال التطورية تراكم الأحداث المبدأ الأساسي لمنهجها العلمي تحكم على نفسها بالسطحية.إن التطورية في عزلها بعض السمات الثقافية يصعب عليها الفهم الحقيقي لأن كل ثقافة هي بمثابة مجموع متجانس.

ثانيا:النظرية الانتشارية:

- تنطلق من فكرة أن كل مجتمع اخترع مثلا النار، الحديد، الدين، والزراعة...تنتقل هذه الاختراعات والأفكار والسمات الثقافية من محيط إلى محيط في العالم بأسره بواسطة الهجرة أوالطرق التجارية.
- يحاول الأنثروبولوجيون الانتشاريون من جهتهم تحديد أماكن الثقافة وتوضيح كيف تم انتشار هذه السمات من خلال هذه الأماكن، لذا هم يعارضون فكرة أن الإنسان هو فرد ابتكاري.
- يرى التطوريون مثلا أن المرور من مرحلة إلى مرحلة أخرى يتم بواسطة ابتكار وسائل جديدة، أفكار جديدة، مؤسسات لم تكن موجودة، مثلا ابتكار كل مجتمع للنار، للحديد...في الوقت الذي يرى الانتشاريون أن كل ابتكار يأتي من مكان واحد فقط.إن الابتكارات ليست بظواهر منتجة بطرق مستقلة في أماكن مختلفة في العالم.
- إن التاريخ الحديث مثلا الآلة البخارية، التلغراف، السيارة أو الهاتف هي مؤشرات تفند الفكرة التطورية.
- إن الانتشار ليس بانتشار أوتوماتيكي وأن كل مجتمع يمكنه إجراء انتقاء لبعض العناصر المقترحة إليه من الخارج، كما يمكنه تحوير كل سمة ثقافية دخيلة.

المحاضرة الثانية:

الأثروبولوجية الاجتماعية والثقافية:

– تنطلق من مسلمة مفادها أن أعضاء مجتمع ما يتقاسمون سمات ثقافية مماثلة تجعلهم يتميزون عن غيرهم.إن كل مجتمع يكيف القيم المستعارة من ثقافة ما مع قيمهم الخاصة.

– تركز على الاختلافات الثقافية، إذ بالنسبة إليها تتمثل قدرة الجنس البشري في الاختلاف.يتميز جوهر هذه المدرسة في محاولة ضبط تأثير الثقافة أو ثقافة ما على شخصية أعضاء هذه الثقافة.لذا يبقى من مواضيعها المفضلة التنشئة الاجتماعية.

– تطرح أن هناك علاقة سببية بين الثقافة و شخصية كل أعضاء مجتمع ما، الأعضاء الذين يتقاسمون منذ المراحل الأولى للطفولة نفس التجارب التي تنتهي بتكوين شخصية قاعدية(خصوصية أو مهيمنة).من هنا تؤكد أن مواطني مجتمع ما يتقاسمون سمات نفسية مماثلة تجعلهم يتميزون عن غيرهم.

– إذا استعارت ثقافة ما سمة ثقافية من ثقافة أخرى، فهي تحاول مباشرة تكييفها مع قيمها الخاصة، إن كل ثقافة هي عالم خاص في حد ذاته.

– تتمثل المواضيع الأساسية والجديدة للمدرسة الثقافوية في الاهتمام بالفرد والتنشئة الاجتماعية والطفولة وأخيرا المميزات الوطنية. تهتم بدراسة تجانس المؤسسات مثل الطابع الاندماجي للأسرة والأخلاق وبخاصة الدين.

– يرى بعض الأنثروبولوجيون أن هناك تطابق بين الأنثروبولوجية الاجتماعية وعلم الاجتماع بل هي حتى جزء منه، نظرا لأن المستوى الاجتماعي يتكون من مجموعة العلاقات(علاقات الإنتاج، علاقات الاستغلال وعلاقات الهيمنة...)التي تسخرها الجماعات فيما بينها داخل المجموعة نفسها(أثنية، جهة، وطن...)وفي علاقتها مع مجموعات أخرى هي أيضا متراتبة.

– أصبحت فيما بعد الأنثروبولوجية الثقافية فرع مستقل تماما عن السوسيولوجية، لم تصبح تهتم كثيرا بسير المؤسسات بقدر ما تهتم بسلوكيات الأفراد أنفسهم الذين يظهرون انتمائهم إلى ثقافة ما.

– يعد المستوى الثقافي المستوى الاجتماعي نفسه ولكن من منظور الخصائص المميزة للسلوكيات الفردية لأعضاء جماعة ما وكذا انتاجاتها النموذجية(الحرفية، الفنية، الدينية...).تشترك الأنثروبولوجية الاجتماعية والأنثروبولوجية الثقافية في الموضوع نفسه،حيث تبحث الأولى المستوى الاجتماعي بصفته نظام علاقات اجتماعية بينما تبحث الثانية المستوى نفسه ولكن في تجلياته السلوكية أي الطرق الخصوصية لثقافة ما،كيف

نفكر، كيف نتكلم، كيف نجتمع، كيف نلتقي، كيف نعمل، كيف نتسلى ونتعامل مع الأحداث مثل(الولادة، المرض، الموت ...).

– تدرس الأنثروبولوجية الثقافية المستوى الاجتماعي في تطوره بعامة وعلى ضوء سيرورات الاتصال، الانتشار، التفاعل والتثاقف أي التبني أو الرفض لقيم ثقافة ما على ثقافة أخرى. لا يتجلى ثقل الثقافة في الأشكال المتنوعة للسلوكيات و النشاطات التي تضبط بطريقة سهلة من مجتمع إلى مجتمع أخر مثل(التغذية، اللباس، المسكن والألعاب...)فقط وإنما تضبط أيضا من خلال البنيات الاحساسية، الإدراكية والعاطفية المكونة للشخصية في حد ذاتها، إنها "الروح" أو العبقرية لشعب من الشعوب.

– لقد بنا "روت بنديكت"(Ruth BENEDICT) نظريته السهم الثقافي (L'arc culturel) على ضوء أن كل ثقافة تقوم بانتقاء، فهي تثمن جزء محدد من السهم الكبير للدائرة الواسعة من الاحتمالات الثقافية للإنسانية، فهي تشجع بعض التصرفات على حساب أخرى فهي تقوم بعملية انتقاء ثقافي لأن كل أعضاء مجتمع معين يتقاسمون اهتمامات مشتركة.يملك كل واحد منا بداخله كل التوجهات إلا ان الثقافة التي ننتمي إليها تقوم بالانتقاء.بمعنى أن كل ثقافة تدفع بالأشخاص إلى التماثل مع قيمها.

– **المواضيع الأساسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية (بريطانيا):**

المورفولوجيا الاجتماعية، السكن، الديمغرافيا، التنظيم الاجتماعي والقانوني(القرابة، النظام الاقتصادي والسياسي).

– **المواضيع الأساسية للأنثروبولوجيا الثقافية (الولايات المتحدة الأمريكية):**

الظواهر الجمالية(الألعاب، الموسيقى، الرقص، اللغة...)، الدين والقيم.

رابعا:اثروبولوجيا الأنظمة الدينية والرمزية:

– يعد أحد المواضيع المفضلة الدين وأنظمة الاعتقاد، فمنذ البداية اهتمت بوصف وتحليل الظواهر الدينية المجتمعات القديمة والتقليدية ومقارنتها.لقد كانت هذه الدراسات نقطة انطلاق تفكير أكثر عمومية حول العقليات وأشكال التفكير عبر العصور و المجتمعات وفي هذا السياق يمكن ذكر مثلا كتاب "لفي بريال"(Levy BRUHL) العقلية البدائية 1922، إذ عارض بين العقلية البدائية والعقلية العقلانية، كما وضّف(C.HALLPIKE 1979 مصطلحات "جان بياجي" J. PIAGET 1970 التفكير ما قبل الإجرائي و التفكير الإجرائي لأدراك التعارض بين التفكير الرمزي للمجتمعات التقليدية والتفكير العلمي للمجتمعات العصرية. وتكلم (K. POPPER انطلاقا من التناقض بين الأسطورة والعقلنة 1945 عن المجتمعات المغلوقة لوصف المجتمعات المطبوعة بالأسطورة والمجتمعات

المفتوحة للكلام عن المجتمعات العصرية المطبوعة بالعلم.

- كما تهتم بالانتاجات الرمزية(الحرف) والآداب الشعبي الشفهي(الأساطير، الحكايات،الأمثال الشعبية والخرافات...)و كذا الوسائل التي من خلالها تتأسس بخاصة اللغات دراسة منطق المعارف(الفلسفية،الدينية، الفنية والعلمية) التي توظفها جماعة ما مما يفتح المجال إلى أثروبولوجية المعرفة و ما أصبح يسمى بالآثنو-علم.

خامسا:بعض التوجهات الأثروبولوجية المعاصرة:

نذكر في هذه التوجهات على سبيل المثال :

الأنثروبولوجيا الاقتصادية الأثروبولوجيا السياسية الأثروبولوجيا القانونية

أثروبولوجيا الحياة اليومية أثروبولوجيا الصحة الأثروبولوجيا العمالية ...

- نكتفي بمحاولة التعريف بأحد أهم هذه التوجهات وليكن:

أ-أثروبولوجية الوسط الحضري والصناعي:[*]

لقد اهتمت الأنثروبولوجيا في أوروبا خاصة بالوسط الريفي،بالمجتمع التقليدي أساسا، أن ظروف تطورها في القرن 19أهلها الى أن تكون اختصاص التقليدي و"البقايا".

لقد طوبقت ممارساتها لإدراك التقاليد والعادات المهددة من طرف التحضر،إلا أننا نلاحظ في الوقت الراهن أن الأبحاث الأنثروبولوجية في الوسط الحضري قد تضاعفت.نذكر من بين أهم أسباب هذا التضاعف في ميدان حقل الأنثروبولوجية الحضرية:

- سرعة التمدن في العالم
- صعوبة التحقيقات الميدانية في المجتمعات القديمة
- تعدد التخصصات والفروع في ميدان البحث العلمي وتطبيقاته
- إعادة الاعتبار للمدن التقليدية التي عرفت سرعة كبيرة في التمدن
- وأخيرا، هناك الطلب الاجتماعي متعدد الأوجه الذي خلق مشاريع تملوها السلطات العمومية والجماعات المحلية بهدف الحفاظ على الإرث الوطني والجهوي بهدف إدراك وتحليل عوامل التغير الاجتماعي، القطيعات والانحرافات. كما اهتمت بدراسة الهجرة، الجماعات أو الاثنيات الحضرية المكونة من جديد،كما اهتمت بعوامل تجانسهم أو إعادة إنتاجهم الداخلي بالنسبة لتقنية أو مهنة.

---

[*] KILANI Monder, Introduction à l'anthropologie, éditions Payot Lausanne, 1989.

ب–أنثروبولوجيا الوسط الصناعي:

تتمثل أساسا في دراسة ظروف الاختراعات التقنية ونشرها من جهة وكـــذا المعيقـــات الاجتماعيـــة والثقافية التي توجهها من جهة أخرى.كما أنها تحاول إبراز التقاليد الاجتماعي والعقليـــات الـــتي تتماشـــى والتطور التقني، ناهيك عن تحليل تصورات وممارسات المهن أو الاختصاصات،تنظيم الإنتاج والحياة في العمل داخل المؤسسات(مقاومات، المسؤوليات، السلم الرتبي الرسمي للوظائف والكفـــاءات...).فهي تهـــدف إلى إدراك الثقافات الجزئية المبتكرة:إن كل وسط صناعي يلد:

معرفة تقنية واجتماعية، أشكال تضامن، أحلام، إحساس بالانتماء إلى جماعة ما مختلفة عن جماعة أخرى، هذا الإحساس و الشعور بالانتماء إلى الطبقة العاملة لوحدها مثلا يكون من تداعياته التضامن بين الأقارب ، الجورة ، أصحاب الحي، المدينة والجهة...

المراجع:

1-DELIEGE Robert, Une histoire de l'anthropologie, écoles, auteurs, théories, éditions seuil, 2006.

2-KILANI Monder, Introduction à l'anthropologie, éditions Payot Lausanne, 1989.

3-LAPLANTINE François, L'anthropologie, éditions Petite bibliothèque Payot, 2001.

4-LOMBARD Jacques, Introduction à l'anthropologie, éditions Armand Colin, 2° édition, 1998.